١ تس ٥: ١-١١
الإستعداد إلى حين عودة الرب

الخوري نعمة اللّه الخوري

ترتبط هذه المقطوعة ارتباطًا وثيقًا بالمقطع الذي يسبقها : بعد ان هدّأ بولس قلق أهل تسالونيكي حول مصير موتاهم، فطمأنهم أن هؤلاء الموتى المؤمنين سيكونون حاضرين ساعة مجيء الرب (١ تس ٤ : ١٣-١٨)، ها هو يتطرّق الآن إلى تحديد زمن مجيء الرب، عارضًا كيفية عيش المؤمنين واستعدادهم للقاء المسيح أثناء تجليه.

تتضمّن هذه المقطوعة تصميمًا واضحًا: بعد المقدّمة (آ ١)، يعرض الرسول الموضوع العام من خلال تحليل لاهوتي (آ ٢-٣)، ثمّ يتوجّه إلى قرّائه ليحدّد موقعهم حين ظهور الرب (آ ٤-٥أ)، ويحضّهم أخيرًا على التصرّف بيقظة واستعداد (آ ٦- ١٠)؛ تشكّل (آ ٥ ب) مفصلاً يجمع بين هذَين القسمَين الأخيرَين، في حين أن الخاتمة (آ ١١) تنهي التعليم بواسطة عبارات شبيهة بتلك التي أنهت المقطوعة السابقة (رج ٤: ١٨).

أولا : المقدمة (آ ١)

يعرف أهل تسالونيكي جيّدًا "الأوقات والأزمنة" المرافقة ليوم الرب، وربما حصلوا على معلومات بهذا الشأن من الرسول نفسه حين بشّرهم لأول مرة. تذكّرنا الكلمتان "الأوقات والأزمنة" بالمقطع السابق الذي تطرّق إلى كيفية مجيء الرب، وهما تتعلّقان أيضًا بالآية اللاحقة حيث يجري الحديث عن تحديد زمن ذلك المجيء (آ ٢). للوهلة الأولى نفهم من هذه الآية أن الرسول يريد تحديد الزمن الذي سيظهر فيه الرب ثانية؛ فالكلمتان المتشابهتان (الأوقات والأزمنة[١]) تشيران إلى نية بولس في تحديد الكرونولوجيا لظهور الرب؛ غير أن التحليل اللاهوتي اللاحق يتحاشى الإشارة بوضوح إلى ذلك الزمن، لأن الرسول يكتفي بإعطاء نصائح وإرشادات موجّهة إلى أهل تسالونيكي لكي يعيشوا الزمن الحاضر في السهر والاستعداد.

هذا يدفعنا إلى الاعتقاد أن الرسول، باستعماله كلمتَي "الأوقات والأزمنة"، يريد أن يستعرض الفترة الزمنية التي تفصل بين الزمن الحاضر وبين أحداث النهاية حين سيظهر الرب؛ يهتمّ بولس بتنشئة المؤمنين وتعليمهم أسس الحياة المسيحية ليكونوا مستعدين أثناء مجيء يوم الرب، في حين أنه لا يهتمّ بتحديد توقيت ذاك اليوم.

ثانيًا: الظهور غير المتوقّع ليوم الرب (آ ٢-٣)

يؤكّد بولس أن يوم الرب سيفاجئ الناس غير المستعدين مثل سارق الليل[٢]؛ فالكارثة ستداهمهم حين يظنون أنهم يعيشون في سلام

(١) تتضمن هاتان الكلمتان معنى متشابهًا في كتاب دانيال (دا ٢ : ٢١؛ ٧ : ١٢؛ راجع أيضًا حك ٨: ٨؛ أع ١: ٧).

(٢) هذه المقارنة بين "يوم الرب" و"سارق الليل" ترتبط بمثل السارق الوارد في التقليد الإزائي المثنّى (مت ٢٤: ٣٤؛ لو ١٢: ٣٩). ستستعيد الرسائل الكاثوليكية عبارة "سارق الليل" في ٢ بط ٣: ١٠؛ رؤ ٣: ٣؛ ١٦: ٥).

وأمان[٣]؛ يظهر بوضوح أن الرسول يستوحي من كتب الأنبياء[٤] الذين يتهجّمون على الأنبياء الكذبة الذين يُضلّون الشعب بإعلانهم السلام والطمأنينة، في حين أن الخراب المفاجئ سيُداهم هؤلاء القوم الذين يصغون إلى الأنبياء الكذبة. يأتي اللص فقط في الليل، وهكذا يُداهم غير المستعدّين، ولكنّه لن يستطيع أن يفاجئ المؤمنين الذين يعيشون في وضح النهار.

تستعمل الترجمة السبعينية عبارة "يوم الرب" بكثافة حين تترجم الأصل العبري (يوم يهوه = يوم الله)، وهذا اليوم هو الزمن الحاسم حين سيُظهر الله قضاءه الرهيب (اش ٣٤: ٨)، وهو يوم تدمير (عو ١٢)، ويوم غضب الله (صف ١:١٨). لا تُطبّق عبارة "يوم الرب" في العهد الجديد على مجيء المسيح الثاني إلا في الرسائل البولسية، كما أن الرب، في تعليم بولس، ليس الله، بل المسيح القائم من الموت.

من ناحية أخرى، يُشبّه بولس يوم الرب بآلام المخاض المفاجئة والمؤلمة؛ غير أنّ هذا التشبيه ليس مُوفّقًا لأن الحامل قد تُفاجَأ بالمخاض، بيد أن هذه الآلام ليست غير متوقّعة؛ فالحامل تنتظر تلك الأوجاع قبل عدة أشهر، على عكس يوم الرب الذي يفاجئ غير المستعدّين، فلا يقدرون على النجاة. يبدو أن بولس يستوحي من الصور التقليدية المعروفة من أبناء عصره، فيُسند إلى الصورة التي يختارها المعنى المقصود دون أن يهتمّ بالمطابقة التامة بين هذه الصورة وبين الإطار المباشر. يريد الرسول أن يُؤكّد ببساطة أن الناس الذين يدهمهم يوم الرب لا يستطيعون الإفلات، مثلما هي حال الحامل التي تستعد لكي تلد.

ثالثًا: موقع المؤمنين حين ظهور الرب (آ٤-٥)

إن الهلاك المفاجئ الذي ورد ذكره في آ ٣ هو شامل ويطال البشرية بأسرها، غير أن بولس يريد الآن أن يستثني المسيحيين في تسالونيكي، فيتوجّه إليهم في آ ٤ باستعماله عبارة "أما أنتم" التي تفصل مصير المؤمنين عن مصير الناس الذين يعيشون في اللامبالاة[٥]. يستعين هنا بولس بصورة الظلمة والنور المستوحاة من التقليد اليهودي[٦] الذي يقسم الإسرائيليّين إلى مجموعتين: الأولى مناهضة لله[٧] لأنها تتخبّط في الظلمة، في حين أن الثانية هي خاضعة له لأنها تسلك في النور.

نلاحظ أن بولس يستعمل في آ ٤ كلمة "اليوم" بدل "يوم الرب" لأنه يعتبر أن كلمة "اليوم" تتضمن معنيَيْن: ذاك اليوم هو من جهة يوم ظهور الرب (آ ٢)، ومن جهة أخرى، هو الوقت الذي ينقضي فيه الليل وينبلج الصباح؛ أضحى المؤمنون أبناء النهار، واختاروا النور، في حين أن الآخرين يغرقون في الظلمة[٨]؛ لذلك لن يداهم الهلاك أهل تسالونيكي الذين قبلوا بشارة الإنجيل، بل سيكونون مستعدّين للقاء الرب في ذلك اليوم.

رابعًا: الآية المفصل (آ٥ ب)

يغيّر الرسول لهجته في هذه الآية، فبعد أن استعمل صيغة المخاطب

(٣) نلاحظ التلازم بين يوم الرب المفاجئ وحياة الناس في اللامبالاة في التقليد الإزائي المثنى (مت ٢٤: ٣٧-٣٩؛ لو ١٧: ٢٦-٣٠).

(٤) بشأن التحذير من الأنبياء الكذبة، راجع مي ٣: ٥؛ ار ٦: ١٤؛ حز ١٣: ١٠.

(٥) يؤكّد أشعيا أن يوم الرب هو يوم تجديد إسرائيل (أش ١١: ١١)؛ وفي ذلك اليوم سينتصر الأبرار ويهلك الخاطئون (ملا ٣: ١٩- ٢٣).

(٦) تقول وصية لاوي: "عليكم أن تختاروا بين النور والظلمة، بين شريعة الله وأعمال بليعار" (وصية لاوي ١٩: ١). ونحن نجد أصداء هذا التشبيه في الرسالة الثانية إلى الكورنثيّين (٢كور ٦: ١٤-١٥)؛ نجد أيضًا المقارنة بين أبناء النور وأبناء الظلمة في كتابات قمران.

(٧) حين خلق الله النور (تك ١: ٣) أباد الظلمة.

(٨) يعرض بولس التناقض بين الظلمة والنور في ٢ كور ٦: ١٤.

الجمع (أنتم) في الآيات السابقة، فأظهر بوضوح المسافة بينه وبين المؤمنين في تسالونيكي، ها هو ينتقل الآن إلى صيغة المتكلم الجمع (نحن) التي سترافقنا حتى آ ١٠، وهذا يعني أن الرسول يضمّ مصيره إلى مصير المؤمنين: بالرغم من أنه يوجّه تعليمه إلى مراسليه، لكنه يطبّق في الوقت عينه مضمون هذا التعليم على حياته الشخصية. يقول بولس: "لسنا من الليل ولا من الظلمات"، وهو يستعيد صورة الظلمة والنور الواردة في الآيتين السابقتَين، ثمّ ينقلنا إلى أجواء التحليل اللاحق.

خامسًا: التصرّف المسيحي أمام جهل زمن مجيء الرب (آ ٦-٧ ب)

وضع الرسول في التحليل السابق الأسس اللاهوتية لتعليمه حول الظهور غير المتوقع ليوم الرب، ويعرض الآن النصائح والإرشادات التي يستنتجها من تعليمه.

يقول بولس في آ ٦: "لا ننامنّ"؛ ينام غير المؤمنين في الليل، وهذا النوم يعني الاتفاق مع عالم يغرق في الظلمات؛ ينتقل بولس من الليل في معناه الحرفي إلى الظلمات التي تمثّل وضعًا روحيًا من الجهل والشر والخطيئة، فالنوم هو الانصياع للحياة السهلة، وهو يشير إلى ما نقوم به في الليل، أي في الخفية. إن التيقّظ الذي يريده الرسول ليس فقط الامتناع عن نوم الجسد، فاليقظة هي جهاد المؤمن ليستطيع نيل الخلاص الذي لا يُعطى مجانًا، بل يُمنح بعد جهاد روحي طويل. إن النائم يجهل الوضع المأساوي الذي يمرّ فيه، ويتبنّى طريقة في الحياة تختلف عن طريقة المؤمن الذي دخل في النور، وأضحى في حالة السهر.

إضافة إلى السهر، يعرض الرسول على نفسه وعلى المؤمنين أن "يصحوا"؛ والمعنى الأول لهذا الفعل هو الابتعاد عن السكر؛ غير أنه يحمل معنى التوازن والحياة في الوعي السليم (١كور ١٥: ٣٤). لا يختلف السهر عن الصحو؛ فالكلمتان تشيران إلى تماسك حواس الإنسان في انتظار يوم تجلي الرب.

يؤكّد بولس صوابية تعليمه باستعماله برهانًا مأخوذًا من الحياة اليومية: النائمون ينامون في الليل، والسكارى يسكرون بعد حلول الظلام، في حين أن المسيحيين لا ينتمون إلى الليل، بل هم أبناء النهار، وعليهم أن يحترزوا من كل ما يجعلهم لا يتمالكون ذواتهم. يحضّ الرسول قرّاءه على السهر (في معناه الروحي طبعًا) لأنهم لا ينتمون إلى ظلمات العالم، بل هم يعيشون في عالم النور؛ فقد انقضى الليل بالنسبة إليهم وأضحوا أبناء النهار.

سادسًا: التسلح بالفضائل المسيحية (آ٨-١٠)

يعرض الرسول في هذه الآيات خلاص المؤمنين أبناء النهار الذين يتسلّحون بالإيمان والمحبة والرجاء؛ ان دخول أهل تسالونيكي في الإيمان لا يضعهم في واقع مريح وسهل، بل هم يعيشون في صراع مرير لينالوا الخلاص لأن الرب يسوع نفسه سلك طريق الجلجلة ليكون مثالاً للمؤمنين، لذلك يقول بولس: "لأن الله لم يجعلنا للغضب، بل للحصول على الخلاص بربنا يسوع المسيح الذي مات من أجلنا لنحيا معًا متّحدين به" (آ ٩-١٠)؛ يستعين هنا بولس بصورة الجندي المسلح الذي يلبس الدرع ويضع على رأسه الخوذة[٩]؛ هذه الأسلحة هي دفاعية، في حين أن الحديث في الرسالة الثانية إلى أهل كورنتوس يشير إلى الهجوم والدفاع (٢كور ٦: ٧). إن وسائل الدفاع المذكورة التي تتضمّن

(٩) يذكّرنا الربط بين الخوذة والخلاص بأشعيا الذي يقول إن الرب "لبس البرّ كدرع وخوذة الخلاص على رأسه" (أش ٥٩: ١٧).

الإيمان والرجاء والمحبة هي الركائز التي تدعم الوجود المسيحي.

يؤكّد الرسول أن المؤمنين سيتّحدون بالمسيح، "سواء أكانوا ساهرين أم نائمين" (آ ١٠)؛ إن المقارنة بين السهر والنوم في هذه الآية له بُعد جديد يختلف عن مفهوم اليقظة والنوم كما ورد سابقًا في آ ٦–٨؛ النوم هنا هو الموت، في حين أن السهر هو الحياة. حين سيأتي يوم الرب، سيحيا المؤمنون متّحدين مع المسيح القائم من الموت؛ فالخلاص الذي أعدّه الله لنا (آ ٩) هو قمّة تعليم هذا المقطع الذي يُشدّد على ضرورة عيش المؤمنين متّحدين مع المسيح سواء أكانوا على قيد الحياة أم في عداد الأموات.

سابعًا : نهاية المقطع (آ ١١)

ينهي بولس تعليمه بقوله: "ساعدوا وشجّعوا بعضكم بعضاً" (آ ١١)؛ تشدّد هذه العبارات التي تذكّرنا بخاتمة المقطع السابق (٤: ١٨) على البعد الجماعي للتعليم العروض؛ يهدف البناء أشخاصًا ينتمون إلى جماعة مؤمنة، وهذا هو البعد الكنسي الذي يلوح في الأفق لأن الكنيسة هي حقيقة تاريخية، يبنيها في آن معًا، الله والناس. حين عالج بولس يوم الرب، لم يحلّق في عالم الحروب والأهوال والكوارث التي ترافق يوم الرب في الكتابات الرؤيوية، بل يتوجّه إلى مؤمنين يعيشون في الكنيسة، ويحضّهم على عيش حياة جماعية عنوانها الإيمان والرجاء والمحبة.

خاتمة

ابتعد الرسول في تحليله شيئًا فشيئًا عن مسألة توقيت مجيء الرب الواردة في بداية المقطوعة، فتطرّق بالأحرى إلى خلاص المؤمنين. غاب يوم الرب عن التحليل ليفسح المجال أمام مصير المسيحيين الذين يعيشون ضمن جماعة كنسية مترقّبين يوم الرب. إن تتويج الوجود المسيحي يكمن في العيش مع المسيح ضمن جماعة يتجدّد وجودها بواسطة حضوره العتيد والقريب، لأن الفترة الزمنية التي تفصل المؤمن عن الأحداث المرافقة لمجيء الرب ليست زمن انتظار وترقّب، بل هي وقت استعداد ويقظة وسهر. يتبيّن لنا بوضوح أن هدف الرسول التعليمي هو تطبيقي، وهذا يعذره عن عدم إعطاء معلومات واضحة عن توقيت ظهور يوم الرب؛ لذلك اكتفى بتنبيه أهل تسالونيكي لكي لا يتفاجأوا ساعة لقائهم به، بل عليهم أن يكونوا مستعدّين وعائشين في وضح النهار.

المراجع

FOCANT C., "Les Fils du Jour (1 Thess 5, 5)", *TC*, 348-55.

LÉGASSE S., "La venue du Seigneur", *Les épîtres de Paul aux Thessaloniciens* (LD 7, 1999), 279-312.

PLEVNIK J., "1 Thess 5, 1-11: Its Authenticity, Intention and Message", *Bib* 60 (1979) 71-90.

RICHARD Earl J., "On Being Ready for the Lord's Return", *First and Second Thessalonians* (Sacra Pagina Series 11) 249-67.

RIGAUX B., "Tradition et rédaction dans 1 Th V, 1-10", *NTS* 21 (1974-75) 318-40.